دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	أحوال الجملة الطلبية في القرآن الكريم : دراسة وصفية استقرائية تحليلية
المؤلف الرئيسي:	البشير، قسم االله محمد
مؤلفين آخرين:	التهامي، محمد الحسن فضل المولد(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2011
موقع:	الخرطوم
الصفحات:	1 - 235
رقم MD:	699060
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة دكتوراه
الجامعة:	جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
الكلية:	كلية الدراسات العليا
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	القرآن الكريم، بلاغة القرآن الكريم، الأسلوب القرآني، الجملة الطلبية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/699060

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الباب الرابع

من أقسام الجملة الطلبية في القران الكريم التمني والنداء

الفصل الأول : التمني

الفصل الثاني : النداء

الفصل الثالث:تطبيقات على التمني والنداء من القران الكريم

الفصل الأول

التمني

المبحث الأول : تعريف التمني لغة واصطلاحاً

المطلب الأول : التمني لغة

المطلب الثاني : التمني اصطلاحاً

المبحث الثاني : أدوات التمني

المبحث الأول

تعريف التمني لغة واصطلاحاً

المطلب الأول : التمني لغة :

تمني الشيء : أراده وطلب حصوله والتمني حديث النفس بما يكون وما لا يكون([1]) .

المطلب الثاني : التمني اصطلاحاً

هو طلب الشيء المحبوب الذي لا يرجى حصوله ، إما لكونه مستحيلاً ، وإما لكونه ممكناً ، ولكن غير مطموع في نيله([2]) .

([1]) أحمد رضا – معجم متن اللغة بدون (ط) مكتبة الحياة – بيروت لبنان (١٣٨٠هـ-١٩٦٠م) ج ٥ مادة (منى ، م ن ى) ص ٣٥٥

([2]) الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل ص ٥١

المبحث الثاني

أدوات التمني

واللفظ الموضوع للتمني هو : (ليت) ولا يشترط في التمني الإمكان ، وعليه قوله تعالى : (يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) ([1])

وقد يتمنى بـ(هل) لابراز المتمني - لكمال العناية به - في صورة الممكن، وعليه قوله تعالى حكاية عن الكفار : (فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا)([2]).

وقد يتمنى بـ(لو) كقولك : (لو تأتيني فتحدثني) بالنصب([3]) .

ومن أمثلة التمني بـ(لو) في القران الكريم قوله تعالى : (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا) ([4]) .

وكقوله تعالى : (فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ،وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ، فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)([5]) ، وكقوله تعالى : (أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَبَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) ([6]) .

ولو في كل هذا تفيد التمني ، بدليل نصب المضارع بـ(أن) مضمرة بعد الفاء المسبوقة بها ، وذلك لا يكون في هذا السياق إلا لإفادتها التمني ، والفرق بين التمني بـ(لو) والتمني بـ(ليت) فيما نظن أن (لو) هنا تزيد المعنى بعداً وكأنها تبرز شعور اللهفة اليائس ، وبالإمعان في سياق الآيات يقوى عندنا هذا الوجه فقد قالوه لما رأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب ، أو كبكبوا فيها وهم الغاوون([7]) .

ويقول السكاكي : (وكأن الحروف المسماة بحروف التنديم ، والتحضيض وهي (هلا ، وألا ، ولولا ، و ولو ما) مأخوذة من : (هل ، ولو مركبة مع (لا،

([1]) القصص : ٧٩

([2]) الأعراف : ٥٣

([3]) الإيضاح ص ٩٥- ٩٦

([4]) البقرة ١٦٦-١٦٧

([5]) الشعراء ١٠٠-١٠٢

([6]) الزمر : ٥٨

([7]) دلالات التراكيب ص ٢٠١-٢٠٢

وما) المزيدتين مطلوباً بالتزام التركيب التنبيه على إلزام هل ولو معنى التمني ، فإذا قيل (هلا أكرمت زيداً) أو (ألا) بقلب الها همزة ، أو لولا ، أو لو ما ، فكأن المعنى : ليتك أكرمت زيداً متولداً منه معنى التنديم في الماضي : وإذا قيل : (هلا تكرم زيداً ، أو لولا) فكأن المعنى : ليتك تكرمه ، متولداً منه معنى السؤال وهو التحضيض في المضارع)([1]) .

وقد يتمنى بـ(لعل) فتعطي حكم (ليت) ٠٠ لبعد المرجوِّ عن الحصول ، وعليه قراءة عاصم في رواية حفص : (لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى)([2]) بالنصب([3]) .

([1]) مفتاح العلوم ص ١٤٧-١٤٨

([2]) غافر : ٣٦-٣٧

([3]) الإيضاح ص ٩٦

الفصل الثاني

النداء

المبحث الأول : تعريف النداء لغة واصطلاحاً

المطلب الأول : النداء لغة

المطلب الثاني : النداء اصطلاحاً

المبحث الثاني:أدوات النداء وخروجه عن مقتضى الظاهر

المطلب الأول : أدوات النداء

المطلب الثاني : خروج النداء عن مقتضى الظاهر

المبحث الأول

تعريف النداء لغة واصطلاحاً

المطلب الأول : النداء لغة

النداء : الصوت ، وناداه مناداة ونداء ، أي صاح به([1]) .

المطلب الثاني : النداء اصطلاحاً :

هو طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو ، وهو (يا) أو إحدى أخواتها([2]).

النداء طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف مخصوص([3]) .

وإنما يصحب النداء في الأكثر الأمر والنهي ، وهو كما يقول الزمخشري: (كل نداء في كتاب الله يعقبه فهم في الدين ، إما من ناحية الأوامر والنواهي التي عقدت بها سعادة الدارين ، وإما مواعظ وزواجر ، وقصص لهذا المعنى ، كل ذلك راجع إلى الدين الذي خلق الخلف لأجله ، وقامت السماوات والأرض به ، فكان حق هذه أن تدرك بهذه الصيغة البليغة)([4]) .

وليس طلب الإقبال وحده هو ما يجري فيه النداء ، أي : طلب إقبال الحي العاقل ، وإنما يجري طلب الإقبال في متصرفات كثيرة جداً ، وكأنه من أكثر فنون الكلام تصرفاً في الأغراض ، والمواقف ، فكما نودي الأحياء نودي الأموات ، ونودي الحي غير العاقل ، وكذلك نوديت أحوال النفس وعواطفها من حب ، وبغض ، وحسرة ، ولذة ، إلى آخر ما تصرف فيه اللسان في هذا الباب .

ونودي في القران : الأرض ، والسماء ، والنار ، والويل ، والإنسان ، والجبال ، والطير ، والنفس ، والحسرة ، وغيرها .

ووراء كل ذلك أغراض وأسرار ومذاقات ، والبحث في ذلك ودرسه ، باب جليل من أبواب معرفة الأدب وذوق اللسان([5]) .

وأكثر هذه المواقع تجري في السياقات المليئة ذات الحس الطاغي والموقف المفعم ، وترى الأداة في كثير منها كأنها صيحة او صرخة يطلقها القائل ليعبر عن

([1]) الجوهري – الصحاح ط٣ (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) بيروت –لبنان ج٦ مادة (ندا) ص ٢٠٥٠٥)

([2]) بغية الإيضاح ص ٥٨

([3]) البرهان في علوم القران ج٢ ص ٣٢٣

([4]) المرجع نفسه ج٢ ص ٣٢٤

([5]) انظر دلالات التراكيب ص ٢٦١-٢٦٢

المواقف التي تمثل قمة الإحساس ، والحاجة الملحة إلى لفت من يسمعه وإيقاظه([1]) .

([1]) المرجع نفسه ص ٢٦٢

المبحث الثاني

أدوات النداء وخروجه عن مقتضى الظاهر

المطلب الأول : أدوات النداء

وأدوات النداء ثمانية : الهمزة ، وأي ، ويا ، وآي ، وهيا ، ووآ ، وايا ، و وا ، وهي في الاستخدام اللغوي على نوعين :

١/ نداء القريب وتستعمل له الهمزة وأي

٢ / نداء البعيد ، وتستعمل له : يا ، وآي ، وهيا ، ووا ، وآوآ ، وأيا([1]) .

وقد ينزل القريب منزلة البعيد ، والبعيد منزلة القرب ، وذلك لمعان بلاغية تلاحظ من خلال السياق ، ويقتضي المقام ذكرها([2]) .

وقد لاحظ العلماء في هذا الباب ملاحظات ذات قيمة منها : أن (يا) أكثر حروف النداء استعمالاً ، وأنه لا ينادى اسم الله عز وجل إلا بها ، وحين يقتضي السياق جملاً من التوكيد ، كإضافة عناصر لغوية ذات تأثير في اللفت والإيقاظ (كأي) التي للإبهام ، و (ها) التي للتنبيه ، حين ذلك لا تستعمل من الأدوات سواها ، فيقولون (يا أيها) ثم أن هذه الصيغة ذات العناصر المتكاثفة في النداء هي أكثر أساليب النداء وروداً في القران الكريم ، وسر ذلك كما ذكروا هو : أهمية المقاصد التي نادى الحق خلقه ليسمعهم إياها([3]) .

ومن الملاحظ أيضاً أن حرف النداء قد يدخل على الفعل ، في مثل قوله تعالى : (أَلا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)([4]) ، وقد يدخل على الحرف ، كما في قوله تعالى : (يا ليتني كنت معهم فافوز)([5]) وقوله عليه السلام : (يا رب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة)([6]) ، وصيغة النداء

([1]) البلاغة العربية المفهوم والتطبيق ص ١١٣

([2]) انظر المرجع نفسه والصفحة

([3])دلالات التراكيب ص ٢٦٣

([4])النمل : ٢٥

([5])النساء : ٧٣

([6]) ونص الحديث : (فربّ كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة) وعلى هذه الرواية لا نداء في الحديث(صحيح ابن حبان ج٢ ص٤٦٦)

حينئذ تكون لمجرد التنبيه ، أو للنداء والمنادى محذوف([1]) .

والأكثر أن يتقدم النداء الأمر والنهي ، وربما تقدمت جملة الأمر عليه ، كقوله تعالى : (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ)([2]) وإذا جاءت جملة الخبر بعد النداء تتبعها جملة الأمر ، كما في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ)([3]) ، وقد تجئ معه الجمل الاستفهامية والخبرية كقوله تعالى في الخبر : (يا عباد لا خوف عليكم)([4]) وفي الاستفهام قوله تعالى : (يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِر)([5]) وغيرها من الآيات التي صحب فيها الاستفهام النداء([6]) .

المطلب الثاني : خروج النداء عن مقتضى الظاهر

وقد يستعمل النداء في غير معناه مجازاً في مواضع منها :

١ / الإغراء والتحذير : وقد اجتمعا في قوله تعالى : (ناقة الله وسقياها)([7]) والإغراء أمر معناه الترغيب والتحريض ، ولهذا خصوا به المخاطب .

٢ / الاختصاص : وهو كالنداء إلا أنه لا حرف فيه .

٣ / التنبيه : نحو قوله تعالى : (يا ليتني مت قبل هذا)([8]) .

وغير هذه من المعاني التي يخرج إليها النداء ، وتلاحظ من خلال السياق ، بدلالة القرائن عليها([9]) .

([1])دلالات التراكيب ص ٢٦٣

([2]) النور : ٣١

([3]) الحج : ٧٣

([4]) الزخرف : ٦٨

([5]) مريم : ٤٢

([6]) البرهان في علوم القران ج٢ ص ٣٢٣-٣٢٤

([7]) الشمس : ١٣

([8]) مريم : ٢٣

([9]) المرجع نفسه ج٢ ص ٣٢٥

الفصل الثالث

تطبيقات على التمني والنداء من القران الكريم

المبحث الأول : تحليل معاني التمني في القران الكريم

المطلب الأول : تحليل معاني (ليت)

المطلب الثاني : تحليل معاني (هل)

المطلب الثالث : تحليل معاني (لو)

المطلب الرابع : تحليل معاني (لعل)

المطلب الخامس : تحليل معاني (ألا)

المطلب السادس : تحليل معاني (هلا)

المبحث الثاني : تحليل معاني النداء في القرآن الكريم

المبحث الأول

تحليل معاني التمني في القران الكريم

والأصل في التمني أن يكون لطلب المستحيل أو طلب ما فيه عسر ، ومثاله من القران الكريم قوله تعالى حكاية عما يقوله الكافر يوم القيامة : (يا ليتني كنت ترابا)([1]) .

وللتمني حروف مستعملة فيه وهي : (ليت ، وهل ، ولو ، ولعل ، وألا ، وهلا) .

وساعقد لكلٍّ من هذه الحروف مطلباً مبيناً فيه معناه ودلالته على التمني وعدد وروده في القرآن الكريم ، وسأبدأ في المبحث الأول من هذا الفصل ببحث (ليت) باعتبارها أم الباب في التمني وبالله التوفيق .

المطلب الأول : تحليل معاني ليت في القرآن الكريم

ليت كلمة موضوعة لكل متمني مخصوص عارض لمتمنٍ مخصوص ، وهي تنصب الاسم وترفع الخبر كسائر أخواتها لشبهها بالفعل ، فإن معنى (ليت) تمنيت ٠٠ وليت تتعلق بالمستحيل غالباً وبالممكن قليلاً([2]) .

وقد وردت (ليت) في ثلاثة عشر موضعاً في القرآن الكريم وتفصيلاتها كالآتي :

١ / ليت ثلاث مرات .

٢/ ليتنا مرتان

٣/ ليتني : سبع مرات

٤/ ليتها : مرة واحدة

وقد صحبتها (ياء) النداء في جميع مواضعها .

فمنها قوله تعالى : (وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)([3]) .

([1]) النبأ : ٤٠

([2]) كتاب الكليات ج١ ص ٧٩٤

([3]) الأنعام : ٢٧

جوابه محذوف أي : لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها ، أو يطلعون عليها ، أو يدخلونها ، فيعرفون مقدار عذابها ، رأيت أمراً شنيعاً (فقالوا يا ليتنا نرد) تمنياً للرجوع إلى الدنيا (وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) في حكم التمني ، وراجع إلى ما تضمنه التمني من الوعد ، وفي الآية التي بعد هذه الآية ، وهي قوله تعالى : (بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ) ففي هذه الآية بيان لمعنى التمني الذي في الآية التي قبلها وهو أنه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم أو قبائح أعمالهم ، فتمنوا ذلك ضجراً لا عزماً على أنهم لو ردوا لآمنوا (ولو ردوا) أي إلى الدنيا بعد الوقوف والظهور (لعادوا لما نهوا عنه)([1]) .

اذن معنى التمني في الآية هو إظهار الحسرة والتضجر

ومنها قوله تعالى : (وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً)([2]) .

(يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً) تمنى لو لم يكن مشركاً فلم يصبه ما أصابه قبل ، ويحتمل أن يكون ذلك توبة من الشرك وندماً على ما فرط منه([3]) .

إذن المعنى المستفاد من التمني في هذه الآية هو إظهار الحسرة والندم .

كذلك منه قوله تعالى : (فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً)([4]) تمنت الموت استحياء من الناس ومخافة لومهم([5]) .

وأيضاً منها قوله تعالى : (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً)([6]) تمنياً أن لو اتبع طريق الرسول - صلى الله عليه

([1]) تفسير البيضاوي ج٢ ص ٤٠

([2]) الكهف : ٤٢

([3]) تفسير أبي السعود ج٥ ص ٢٢٤

([4]) مريم : ٢٣

([5])تفسير البيضاوي ج٤ ص ١١

([6]) الفرقان : ٢٧-٢٨

وسلم - ولم يتبع من أضله ، يقول ذلك ندماً وحسرة عندما يرى عذاب الله سبحانه وتعالى يوم القيامة([1]) .

فالغرض المستفاد من التمني في هذه الآيات هو إظهار الحسرة والندم .

ومنها قوله تعالى : (يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا)([2]) فقوله تعالى (يقولون) مبني على سؤال نشأ من حكاية حالهم الفظيعة ، كأنه قيل فماذا يصنعون عند ذلك ؟ فقيل : يقولون متحسرين على ما فاتهم (يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا)([3]) .

اذن المعنى المستفاد من التمني في هذه الآية التحسر .

ومنها قوله تعالى : (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ)([4]) إنما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول في الإيمان والطاعة على دأب الأولياء في كظم الغيظ والترحم على الأعداء([5]) .

إذن الغرض المستفاد من التمني في هذه الآية على ما يبدو لي هو الإشفاق على قومه .

ومنها قوله تعالى : (حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ)([6]) يفيد التمني في هذه الآية الندم ، إذ يندم الكافر يوم القيامة عندما يرى العذاب على طاعته لشيطاانه في الدنيا وعدم إيمانه ، فيتمنى أن لو كان بينه وبينه بعد المشرقين([7]) .

ومنها قوله تعالى : (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ

([1]) انظر تفسير فتح القدير ج٤ ص ٧٢ تفسير البيضاوي ج٤ ص ٢١٥

([2]) الأحزاب ٦٦

([3]) تفسير ابي السعود ج٧ ص ١١٦

([4]) يس ٢٦-٢٧

([5]) تفسير البيضاوي ج٤ ص ٤٣١

([6]) الزخرف : ٣٨

([7]) انظر تفسير روح المعاني ج٢٥ ص ٨٣

كِتَابِيَهْ)([1]) حزناً وكرباً لما رأى فيه من سيئاته (يا ليتها كانت القاضية)([2]) يتمنى دوام الموت وعدم البعث لما شاهد من سوء عمله وما يصير إليه من العذاب([3]) .

فالمعنى المستفاد من هذا التمني في هذه الآيات إظهار الحسرة والندم .

وأيضا منها قوله تعالى : (إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً)([4]) يتمنى الكافر أن يكون ترابا لما يشاهده مما قد أعده الله له من أنواع العذاب([5]) .

وخص قول الكافر دون المؤمن لدلالة قوله على غاية الخيبة ونهاية التحسر([6]).ومنها قوله تعالى:(يقول يا ليتني قدمت لحياتي)([7]) وهذا معناه التحسر([8])

ومن الملاحظ أن ألفاظ (ليت) معظمها جاءت في معرض أقوال المشركين والكافرين وأن معانيها تفيد الحسرة والندم .

المطلب الثاني : تحليل معاني هل التي للتمني في القرآن الكريم

وهل منفردة تفيد مجرد معنى التمني على سبيل المجاز ، وإذا ركبت مع (ما) و (لا) التزم فيها معنى التمني لا لإفادته ، بل ليتولد منه التنديم في الماضي والتقديم في المستقبل([9]) .

وهل التي تفيد التمني جاءت في مواضع من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى : (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ)([10]).

([1]) الحاقة:٢٥

([2]) الحاقة : ٢٧

([3]) فتح القدير ج٥ ص ٢٨٤

([4]) النبأ : ٤٠

([5]) المرجع نفسه ج٥ ص ٣٧٠

([6]) روح المعاني ج٣٠ ص ٢٢

([7]) الفجر : ٢٤

([8]) البحر المحيط ج٨ ص ٤٦٦

([9]) انظر كتاب الكليات ج١ ص ٩٥٧

([10]) الأعراف ٥٣

بين الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن الكفار إذا عاينوا الحقيقة يوم القيامة يقرون بأن الرسل جاءت بالحق ، ويتمنون أحد أمرين : ان يشفع لهم شفعاء فينقذونهم ، أو يردوا إلى الدنيا ليصدقوا الرسل ، ويعملوا بما يرضي الله([1]) .

ومنها قوله تعالى : (فيقولوا هل نحن منظرون)([2]) لفظة (هل) هنا يراد بها التمني ، والآية تدل على أنهم تمنوا التأخير والانظار أي : الإمهال([3]) .

وقد تمنوا ذلك تحسراً وتأسفاً([4]) .

كما جاء في تفسيرها : قالوا هذا تحسراً على ما فات من الإيمان ، وتمنياً للرجعة إلى الدنيا لاستدراك ما فرط منهم ، وقيل أن المراد بقولهم (هل نحن منظرون) الاستعجال للعذاب على طريقة الاستهزاء([5]) .

والذي يظهر لي أن هذه المعاني قد وضحتها الآيات التي قبل هذه الآية ، والآية التي بعدها وهي قوله تعالى : (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ، فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ، لا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ ، فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ، فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ، أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ)([6]) .

ومنها قوله تعالى : (قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ)([7]) ومثل هذا التركيب يستعمل عند اليأس وليس المقصود به الاستفهام ، وإنما قالوه من فرط قنوطهم تعلّلاً أو تحيّراً([8]) .

([1]) أضواء البيان ج٢ ص ١٦

([2]) الشعراء ٢٠٣

([3]) المرجع نفسه ج٦ ص ٩٩

([4]) تفسير البيضاوي ج٤ ص ٢٥٤

([5]) فتح القدير ج٤ ص ١١٩

([6]) الشعراء ١٩٨-٢٠٤

([7]) غافر : ١١

([8]) روح المعاني ج ٢٤ ص ٥٤

ومنها قوله تعالى : (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ)([1]) .

وهذه الآية نظير قولهم كما حكاه القرآن عنهم (فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ)وقوله تعالى (فهل إلى خروج من سبيل)([2]).

المطلب الثالث : تحليل معاني (لو) في القرآن الكريم

(لولا) لها موضعان :

١ / يمتنع بها الشيء لوجود غيره .

٢/ تكون تحضيضاً ، كقولك : قصدت زيداً فلولا عمراً ، تأويله : فهلا قصدت عمراً ؟

قال الأشهب بن رميلة :

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم بني ضوطري لولا الكمى المقنعا ؟

والتي بمعنى التحضيض قوله تعالى : (لولا أنزل عليه ملك)([3]) ، وقوله تعالى : (لولا أخرتني)([4]) ، وقوله تعالى : (لولا يكلمنا الله)([5]) .

وهي تكون في بعض الأحوال بمعنى (هلا) وذلك إذا رأيتها بغير جواب ، تقول : لولا فعلت كذا ؟ قال الله تعالى : (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا)([6]) وقال تعالى : (فلولا إن كنتم غير مدينين)([7]) أي فهلا ؟

فإذا كان لها جواباً فليس بهذا المعنى ، كقوله تعالى : (فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ)([8]) فهذه حكمها وقوع الأمر بوقوع غيره .

وبعض المفسرين جعل لولا في قوله تعالى : (فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَت)([1])

([1]) الشورى ٤٤

([2]) انظر أضواء البيان ج٧ ص ٧٨

([3]) الأنعام : ٨

([4]) المنافقون : ١٠

([5]) البقرة : ١١٨

([6]) الأنعام : ٤٣

([7]) الواقعة : ٨٦

([8]) الصافات : ١٤٣

بمعنى لم ، أي لم تكن قرية ، وكذلك (لوما ، وألا ، وهلا) وهي حروف التحضيض([2]) .

(ولولا) هذه وردت في القرآن في ستة وسبعين موضعاً ، سواء التي تفيد التحضيض أو غيرها . منها ثمانية وثلاثين موضعاً سبقت فيها بحرف العطف الواو ، أو الفاء ، والثمانية والثلاثين الباقية جاءت فيها مجردة من حرف العطف . كما أنها جاءت في واحد وأربعين موضعاً بمعنى (هلا) .

وهذا الذي أشرنا إليه قسم من أقسام (لو) مصحوبة بـ (لا) لتكون قسماً قائماً برأسه هو : (لولا) وسيأتي تفصيل معانيها عند حديثنا عن (هلا) إن شاء الله

أما (لو) وحدها فهي تكون للتمني نحو (لو تأتيني فتحدثني) قيل : ومنه قوله تعالى : (فلو أن لنا كرة)([3]) ، أي فليت لنا كرة . ولهذا نصب (فنكون) في جوابها كما انتصب (فأفوز) في جواب ليت في قوله تعالى : (يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً)([4]) .

واختلف في (لو) هذه ، فقال ابن الضائع وابن هشام هي قسم برأسها لا تحتاج إلى جواب كجواب الشرط ،ولكن قد يؤتي لها بجواب منصوب كجواب ليت . وقال بعضهم هي لو الشرطية أشربت معنى التمنى ، بدليل أنهم جمعوا لها بين جوابين ، جواب منصوب بعد الفاء ، وجواب باللام كقول المهلهل بن ربيعة:

فلو نبش المقابر عن كليب فيخبر بالذنائب أي زير
بيوم الشعثمين لقرّ عيناً وكيف لقاء من تحت القبور

وقال ابن مالك : هي لو المصدرية أغنت عن فعل التمني ، وذلك أنه أورد قول الزمخشري : (وقد تجيء لو في معنى التمني ، في نحو : لو تأتيني فتحدثني) . فقال : إن أراد الأصل ، وددت لو تأتيني فتحدثني ، فحذف فعل التمني لدلالة لو عليه ، فأشبهت ليت في الإشعار بمعنى التمني ، فكان لها جواب كجوابها ،

([1]) يونس : ٩٨

([2]) حروف المعاني ج١ ، ص٣-٥

([3]) الشعراء : ١٠٢

([4]) النساء : ٧٣

فصحيح ، أو أنها حرف وضع للتمني كليت ، فممنوع لاستلزامه منع الجمع بينها وبين فعل التمني ، كما لا يجمع بينه وبين ليت([1]) .

و(لو) هذه جاءت في القرآن في ثمانية وتسعين ومائة موضعاً (١٩٨) وسبقت بفعل التمني (ودّ) ومضارعه في اثنى عشر موضعاً من القرآن الكريم .

أما عن معانيها التي تفيد التمني فمنها قوله تعالى : (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ)([2]) .

وفي (لو) من قوله : لو يعمر) وجهان :

١/ وهو قول الجمهور ، أنها حرف مصدري ، وهي وصلتها في تأويل مفعول به ليودّ ، والمعنى : (يود أحدهم) ، أي : يتمنى تعمير ألف سنة .

وقد تكون حرفاً مصدرياً لقول قتيلة بنت الحارث :

ما كان ضرّك لو مننت وربَّما منَّ الفتى وهو المغيظ المحنق

أي : ما كان ضرّك منّه.

٢/ وقال بعض العلماء : إن (لو) هنا هي الشرطية ، والجواب محذوف تقديره : لو يعمر ألف سنة لكان ذلك أحبَّ شيء إليه)([3]) .

ومنه قوله تعالى : (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ)([4]) .

لو يردونكم ، حكاية ، لودادتهم ، ولو في معنى التمنى .. ، وقيل هي بمنزلة أن الناصبة ، فلا يكون لها جواب ، وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولاً لودُّوا ، التقدير : ودُّوا ردّكم . وقيل : هي على حقيقتها ، وجوابها

محذوف ، تقديره : لو يردونكم كفاراً لسرُّوا بذلك([1]) .

([1]) مغني اللبيب ج١ ص٣٥١-٣٥٢

([2]) البقرة : ٩٦

([3]) أضواء البيان ج١ ص٤١

([4]) البقرة : ١٠٩

كذلك لو التي بمعنى التمنى قوله تعالى : (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ)(٢) . أي : تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف أعمالها ، أو جزاء أعمالها من الخير والشر حاضرة،لو أن بينها وبين ذلك اليوم أمداً بعيداً(٣) .
وهذا معناه إظهار الندم والحسرة .

ومنها قوله تعالى : (يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً)(٤) معناها أنهم يتمنون أن يستووا بالأرض فيكونون تراباً مثلها على أظهر الأقوال(٥)

والتي هي أيضاً بمعنى التمني قوله تعالى : (وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاء..)(٦) .

وكلمة (لو) مصدرية غنية عن الجواب ، وهي مع ما بعدها نصب على المفعولية ، أي : ودّوا أن تكفروا(٧) ، أي : ودّوا كفركم ، والذي يظهر من معنى في هذه الآية هو : إظهار الغيظ والحقد من المنافقين على المؤمنين .
كذلك منها قوله تعالى : (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ)(٨) .

وذلك أن الكفار إذا عرفوا حقيقة الأمر ، تمنوا أنهم كانوا في دار الدنيا مسلمين وندموا على كفرهم(٩) .

---

(١) تفسير أبي السعود ، ج١ ص ١٤٦
(٢) آل عمران : ٣٠
(٣) تفسير البيضاوي ، ج٢ ص٢٧
(٤) النساء : ٤٢
(٥) أضواء البيان ج١ ص٢٤١
(٦) النساء : ٨٩
(٧) تفسير أبي السعود ج٢ ص٢١٣
(٨) الحجر : ٢
(٩) أضواء البيان ج٢ ص٢٥٢

ومنها قوله تعالى : (يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأَعْرَاب ..)([1]). أي : تمنوا أن يكونوا مع الأعراب حذراً من القتل وتربصاً للدوائر([2]) ، وهذا معناه إظهار الخوف والجبن .

كما أن منها قوله تعالى : (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ)([3]) أي : تلاينهم ، فيلاينونك .. والفاء للعطف ، أي : ودوا التداهن وتمنوه لكنهم أخروا إدهانهم حتى تدهن . أو للسببية ، أي : (ودّوا ما لو تدهن) فهم يدهنون حينئذ ، أو ودوا إدهانك فهم الآن يدهنون طمعاً فيه ، وفي بعض المصاحف (فيدهنوا) على أنه جواب التمني([4]) .

المطلب الرابع : تحليل معاني (لعلّ) في القرآن الكريم

(لعلَّ) لها ثلاثة أوجه : تكون شكاً ، وإيجاباً ، واستفهاماً

١/ الشكّ : كقولك : لعلّ زيداً يقوم

٢/ الاستفهام كقولك في الخطاب : لعلَّ زيداً يقوم ، كما تقول : أتظن زيداً يقوم ؟ ، تواجه بذلك من تخاطب .

٣/ الإيجاب كقوله تعالى : ((لعلَّ الله يحدث بعد ذلك أمراً)([5]) .

ولها معنىً رابعاً وهو الترجي([6])

وقد وردت (لعلَّ) مضافة إلى الضمائر المختلفة في القرآن الكريم في ستة وعشرين ومائة موضع (١٢٦) . وذلك حسب التقسيم التالي :-

١/ لعلَّ مضافة إلى كاف الخطاب : أربعة مواضع

٢/ لعلَّ مضافة إلى جماعة المخاطبين ثمانية وستين موضعاً

٣/ لعلَّ مضافة إلى جماعة المتكلمين موضعاً واحداً .

٤/ لعلَّ مضافة إلى ضمير الغائب : ثلاثة مواضع

([1]) الأحزاب : ٢٠

([2]) تفسير القرطبي ج١٤ ص١٥٤

([3]) القلم : ٩

([4]) تفسير البيضاوي ، ج٥ ص٣٧٠

([5]) الطلاق : ١

([6]) حروف المعاني ج١ ص٣٠

٥/ لعلَّ مضافة إلى ضمير جماعة الغائبين : أربعة وأربعين موضعاً .
٦/ لعلَّ مضافة إلى ياء المتكلم : ستة مواضع .
٧/ وجاءت (لعلَّ) مجردة من الإضافة إلى غيرها في ثلاثة مواضع .
إذن فجملة (لعلَّ) في القرآن الكريم تسعٌ وعشرون ومائة مرة (١٢٩) .

أما عن معانيها في القرآن الكريم فنشير إليه في بعض الآيات ، فمن هذه المواضع قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)([1]) .

(لعلكم تتقون فيها معنى الرجاء ، ونبه به على أن التقوى منتهى درجات السالكين ، وهو التبري من كلّ شيء سوى الله تعالى إلى الله([2]) .

إذن معنى لعل في هذه الآية : الرجاء ، وهو رجاء التقوى ، وهي غاية ما يتمناه المرء من عبادة ربه ، وأن تحول عبادته له بينه وبين عذابه والله أعلم .
هذا وما كان مثله فيما ورد في كلام الله تعالى من قوله : (لعلكم تتقون ، لعلكم تشكرون ، لعلكم تذكرون ، لعلكم تهتدون) ، فيه ثلاثة تأويلات :
الأول : أن (لعلّ) على بابها من الترجي والتوقع ، والترجي ، والتوقع إنما هو في حيز البشر ، فكأنه قيل لهم : افعلوا ذلك على الرجاء منكم والطمع أن تعقلوا وأن تذكروا ، وأن تتقوا .
الثاني : أن العرب استعملت (لعلَّ) مجردة من الشك ، بمعنى لام كي ، فالمعنى : لتعقلوا ، ولتذكروا ، ولتتقوا ، وعلى ذلك يدل قول الشاعر :

وقلتم لنا كفوا الحروب لعلنا نكف ووثقتم لنا كل موثق
فلما كففنا الحرب كانت عهودكم كلمع سراب في الملا متألق

والمعنى : كفوا الحروب لنكفّ ، ولو كانت لعلَّ هنا شكاً لم يوثقوا لهم كل موثق .
الثالث : أن تكون (لعلَّ) بمعنى التعرض للشيء ، كأنه قيل : افعلوا ذلك متعرضين لأن تعقلوا ، أو لأن تذكروا ، أو لأن تتقوا ، والمعنى في قوله تعالى : (لعلكم

([1]) البقرة : ٢١
([2]) انظر تفسير البيضاوي ، ج١ ص٢٢٠

تتقون) أي : لعلكم أن تجعلوا بقبول ما أمركم الله به وقاية بينكم وبين النار. وهذا من قول العرب (اتقاه بحقه) إذا استقبله به ، فكأنه جعل دفعه حقه إليه وقاية له من المطالبة ، ومنه قول علي - رضي الله عنه - (كنّا إذا احمرَّ البأس اتقينا بالنبي صلى الله عليه وسلم)([1]) أي : جعلناه وقاية لنا من العدو .

وقال عنترة :

ولقد كررت المهر يدمي نحره حتى اتقتني الخيل بابني حذيم

وقوله تعالى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)([2]).

إرشاد لهم إلى الثبات على الهدى والإزدياد منه([3]) .

هـ/ المطلب الخامس : تحليل معاني (ألا) في القرآن الكريم

(ألا) حرف تحضيض لا عمل لها ، وهي مختصة بالأفعال كسائر أحرف التحضيض ، فلا يليها إلا فعل ، نحو : ألا فعلت ، أو معمول فعل ظاهر ، نحو ألا زيداً ضربت ، أو مضمر ، نحو : ألا زيداً ضربته([4]) .

(ألاّ) بالفتح والتشديد حرف تحضيض مختص بالجملة الفعلية الخبرية (وألاّ) تأتي حرف استفتاح ، وتأتي للتنبيه ، وتفيد التحقيق لتركبها من همزة الاستفهام التي هي للإنكار وحرف النفي الذي لإفادة التنبيه على تحقيق ما بعده..، وتكون للتوبيخ ، والإنكار والاستفهام عن النفي ، وللعرض ، والتحضيض([5]) .

(ألا) بفتح الهمزة والتخفيف على خمسة أوجه :

١/ أن تكون للتنبيه ، فتدل على تحقيق ما بعدها وتدخل على الجملتين .

٢/ وتكون للتوبيخ والإنكار ، كقول حسان بن ثابت الأنصاري :

ألا طعان ألا فرسان عادية إلا تجشؤكم حول التنانير

([1]) مسند الحارث زوائد الهيثمي ، ج٢ ص٨٧٤

([2]) آل عمران : ١٠٣

([3]) فتح القدير ج١ ص٣٦٧

([4]) الجنى الداني في حروف المعاني ج١ ص٨٦

([5]) كتاب الكليات ج١ ص١٦٨

وقول الآخر :

ألا ارعواء لمن ولّت شبيبته وآذنت بمشيب بعده هرم

٣/ التمني ، كقول الشاعر :

ألا عمرو ولَّى مستطاع رجوعه فيرأب ما أثأت يد الغفلات

ولهذا نصب يرأب لأنه جواب تمن مقرون بالفاء .

٤/ الاستفهام عن النفي ، كقول مجنون ليلى :

ألا اصطبار لليلى أم لها جلد إذاً ألاقي الذي لاقاه أمثالي

وهذه الأقسام الثلاثة مختصة بالدخول على الجملة الاسمية ، وتعمل عمل (لا) التبرئة ، ولكن تختص التي للتمني بأنها لا خبر لها لفظاً ، ولا تقديراً ، وبأنها لا يجوز مراعاة محلها مع اسمها ، وأنها لا يجوز الغاؤها ولو تكررت ، أما كونها لا خبر لها ، فلأنها بمعنى أتمنى ، وأتمنى لا خبر له ، وأما الوجهان الآخران في التي للتمني ، أي : أنها لا يجوز مراعاة محلها مع اسمها ، وأنها لا يجوز إلغاؤها ولو تكررت ، فلأنها بمنزلة ليت.

٥/ وتكون للعرض والتحضيض ، ومعناهما طلب الشيء ، لكن العرض طلب بلين ، والتحضيض طلب بحثٍّ .

وتختص (ألا) هذه بالفعلية ، نحو قوله تعالى : (ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم)([1]) ، وقوله تعالى : (ألا تحبون أن يغفر الله لكم)([2]) .

ومنه عند الخيل قوله :

ألا رجلاً جزاه الله خيراً يدل على محصلة تبيت

والتقدير عنده (ألا تروني رجلاً هذه صفته) فحذف الفعل مدلولاً عليه بالمعنى([3]) .

([1]) التوبة : ١٣

([2]) النور : ٢٢

([3]) مغني اللبيب ج١ ص٩٥-٩٧

وجملة ما جاء من (ألا) في القرآن الكريم ، سواء التي بفتح الهمزة والتخفيف ، أم التي بالفتح والتشديد (تسعة وثمانون موضعاً) منها : أربعة وخمسون موضعاً لـ (ألا) التي بفتح الهمزة والتخفيف ، وخمسة وثلاثون موضعاً لـ (ألاّ) بالفتح والتشديد.

ومن معانيها ما جاء في قوله تعالى : (أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ)([1]) . (ألا) للتأكيد وهي منبهة على تحقيق ما بعدها ، لأن همزة الاستفهام التي للإنكار إذا دخلت على النفي أفادت التحقيق([2]) .

كما جاء فيها ، (ألا) كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب([3]) .

كذلك نجد معناها في قوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ)([4]) .

(ألا) على معناها من التأكيد والتحقيق ، وفيها مبالغة في تجهيلهم([5]) .

أيضاً منها قوله تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)([6]) فيها معنى التأكيد والتحقيق ، وإسعافاً لمرامهم([7]) .

ومنها قوله تعالى : (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ)([8]) . أي : بئس الحمل ما حملوا ، ففيها معنى الذم([9]) .

كذلك منها قوله تعالى : (أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَلا إِنَّ وَعْدَ

([1]) البقرة : ١٢

([2]) تفسير البيضاوي ج١ ص١٧٠

([3]) تفسير البغوي ج١ ص٥١

([4]) البقرة : ١٣

([5]) انظر المرجع نفسه ج١ ص١٧٥

([6]) البقرة : ٢١٤

([7]) انظر تفسير أبي السعود ج١ ص٢١٥

([8]) الأنعام : ٣١

([9]) انظر تفسير البغوي ج٢ ص٩٣

اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ)([1]) .

تقرير لقدرته تعالى على الإثابة والعقاب([2]) .

ويقول فيها القرطبي : ألا كلمة تنبيه للسامع تزاد في أول الكلام ، أي : انتبهوا لما أقول لكم : إن لله ما في السماوات والأرض ألا إن وعد الله حق([3]) .

ويقول فيها أبو السعود : وتصدير الجملتين بحرفي التنبيه والتحقيق ، للتسجيل على مضمونهما المقرر لمضمون ما سلف من الآيات الكريمة ، والتنبيه على وجوب استحضاره والمحافظة عليه([4]) .

وجميع معاني (ألا) يدور في فلك هذه المعاني التي أشير إليها ولا يخرج عن التأكيد، والتحقيق ، والتنبيه،والله أعلم بمراده وله القول الفصل وهو أحكم الحاكمين.

و/ المطلب السادس : تحليل معاني (هلا) في القرآن الكريم :

(هلا) حرف من حروف التحضيض([5]) .

لم ترد (هلا) بلفظها في القرآن الكريم ، ولكنها وردت في معنى(لولا) والتي جاءت في واحد وأربعين موضعاً .

منها قوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآياتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)([6]) .

(ولولا) بمعنى (هلا) التحضيض ، وليست هذه لولا التي تعطي منع الشيء لوجود غيره ، والفرق بينهما عند علماء اللسان ، أن لولا بمعنى التحضيض لا يليها إلا الفعل مظهراً أو مقدراً ، والتي للامتناع يليها الإبتداء ، وجرت العادة بحذف الخبر ، ومعنى الكلام : هلا يكلمنا الله بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فنعلم أنه نبي فنؤمن به ، أو يأتينا بآية تكون علامة على نبوته([1]) .

([1]) يونس : ٥٥

([2]) تفسير البيضاوي ج٣ ص٢٠٣

([3]) تفسير القرطبي ج٨ ص٣٥٣

([4]) تفسير أبي السعود ج٤ ص١٥٥

([5]) حروف المعاني ج١ ص٥

([6]) البقرة : ١١٨

ومنها قوله تعالى : (لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)([2]) .

تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك ، فإن لولا إذا دخل على الماضي أفاد التوبيخ ، وإذا دخل على المستقبل أفاد التحضيض([3]) .

كذلك منها قوله تعالى : (فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)([4]) .

أي : فهلا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ، لكنهم لم يتضرعوا ، وهنا عتاب لهم على ترك الدعاء في كل الأحوال حتى عند نزول العذاب ، لشدة تمردهم وغلوهم في الكفر([5]) .

ومنها قوله تعالى : (وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)([6]) .

أي : هلا جمعتها ولفقتها من عند نفسك افتراء ، أو هلا أخذتها من الله تعالى بطلب منه ، وهو تهكم منهم لعنهم الله تعالى([7]) .

كما أن منها قوله تعالى : (فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ)([8])

(فلولا) فهلا كان من القرون التي أهلكناهم من قبلكم ، الآية للتوبيخ ، كما أن فيها تحضيض فيه معنى التفجع مجازاً ، أي : فهلا كان من القرون؟([9]) .

([1]) تفسير القرطبي ج٢ ص٩٢

([2]) المائدة : ٦٣

([3]) تفسير البيضاوي ج٢ ص٣٤٥

([4]) الأنعام : ٤٣

([5]) فتح القدير ج٢ ص١١٦

([6]) الأعراف : ٢٠٣

([7]) روح المعاني ج٩ ص١٤٩

([8]) هود : ١١٦

([9]) تفسير البغوي ج٢ ص٤٠٦

ومنها قوله تعالى : (هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً)([1]).

(لولا) في هذه الآية الكريمة للتحضيض وهو الطلب بحث وشدة ، المراد بهذا الطلب التعجيز ، لأنه من المعلوم أنه لا يقدر أحد أن يأتي بسلطان بيّن على جواز عبادة غير الله تعالى([2]) .

كذلك جاء في تفسير آية سورة الكهف : (لولا يأتون) تحضيض فيه معنى الإنكار والتعجيز أي : هلا يأتون([3]) .

ومنها قوله تعالى : (وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَداً)([4]) حضّت على القول وتوبيخ على تركه . . أي : هلا قلت عندما دخلتها (ما شاء الله)([5]) .

وأيضاً منها قوله تعالى : (لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ)([6]) لولا هذه هي التحضيضية ، تأكيداً للتوبيخ والتقريع ومبالغة في معاتبتهم([7]) .

كما أن منها قوله تعالى : (وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً)([8]).

يقول صاحب تفسير أضواء البيان : (اعلم أولاً أن لولا في هذه الآية الكريمة حرف تحضيض على التحقيق ، والتحضيض هو الطلب بحث وشدة وإليه أشار في الخلاصة وهو من قول ابن مالك :

وبهما التحضيض مزوهلا ألاّ وأولينها الفعلا

([1]) الكهف : ١٥

([2]) أضواء البيان ج٣ ص٢١٦

([3]) تفسير أبي السعود ج٥ ص٢١٠

([4]) الكهف : ٣٩

([5]) روح المعاني ج١٥ ص٢٧٩

([6]) النور : ١٢

([7]) فتح القدير ج٤ ص١٣

([8]) الفرقان : ٧

وبه تعلم أن المضارع في قوله (فيكون معه نذيراً) منصوب بأن مستترة وجوباً لأن الفاء في جواب الطلب المحض الذي هو التحضيض ، كما أشار له في الخلاصة بقوله :

وبعد فاجواب نفي أو طلب محضين أن وسترها حتم نصب

ونظير هذا من النصب بأن المستترة بعد الفاء التي هي جواب التحضيض قوله تعالى : (فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ)([1]) ، لأن قوله (لولا أخرتني) طلب منه للتأخير بحث وشدة ، كما دل عليه حرف التحضيض الذي هو (لولا) ونظيره من كلام العرب قول الشاعر :

لولا تعوجين يا سلمى على دنف فتخمدي نار وجد كاد يفنيه

فقوله تعالى في الآية الكريمة (فأصدَّق) بالنصب ، وقول الشاعر : (فتخمدي) منصوب أيضاً بحذف النون ، لأن الفاء في جواب الطلب المحض الذي هو التحضيض([2]) .

وبقول هذا العالم الجليل في تحقيق القول في (لولا) التي بمعنى (هلا) التي تفيد التحضيض ، أحبّ أن أختم بحثي في هذه المسألة ، وذلك على أنه قول فصل فيها يستأنس به في التحقيق منها . والله أعلم .

([1]) المنافقون : ١٠

([2]) أضواء البيان ج٦ ص١٩

المبحث الثاني

تحليل معاني النداء في القرآن الكريم

الأصل في النداء أن يكون لطلب الإقبال المادي الحسي ، وهو من الأساليب الإنشائية الكثيرة الشيوع في القرآن الكريم ، وله ما للاستفهام من دور جليل الشأن في أداءات البلاغة القرآنية ، وقل أن تجد فيه نداء غير مستعمل في المعاني المجازية التي يقتضيها المقام([1]) .

وقد بلغت الأصناف التي نوديت في القرآن الكريم ، أكثر من خمسة عشر صنفاً ، شملت العاقل وغير العاقل([2]) .

وقد بلغ عدد نداءات القرآن الكريم (خمسة وتسعون وأربعمائة موضعاً) وجاءت بالحرف (ياء) خاصة ، منها : (واحد وثلاثون ومائة موضعاً) مقدرة الياء فيه .

والمنادى في القرآن الكريم باعتبار لفظه أربعة مجموعات :

الأولى : نداء أفراد ، وهو نداء الرسل مفردين ، وقد بلغ العدد في هذه المجموعة خمسة وخمسون ، وأكثر الرسل مناداة في القرآن الكريم سيدنا موسى عليه السلام ، إذ بلغ عدد النداء له أربعاً وعشرين ، يليه سيدنا آدم عليه السلام خمسة مرات ، وبعده سيدنا نوح عليه السلام أربع مرات ، وكذلك كل من سيدنا إبراهيم ، وسيدنا عيسى عليهما السلام أربع مرات لكل .

ويليهما في العدد سيدنا شعيب عليه السلام ثلاث مرات ، ثم بعد ذلك ما جاء نداؤه مرتان ، وهم : سيّدنا صالح عليه السلام ، وسيدنا لوط عليه السلام ، وسيدنا يوسف عليه السلام في موضعين مقدرة الياء فيهما .

ثم ما جاء نداؤه مرة واحدة وهم كل من : سيدنا زكريا ، وسيدنا يحيى ، وسيدنا هود ، وسيدنا هارون ، وسيدنا داود عليهم السلام .

([1]) الموسوعة القرآنية المتخصصة ص٤٥٢

([2]) المرجع نفسه والصفحة

ويدخل تحت هذه المجموعة ، مناداة أفراد ليسوا برسل ، سواء كانوا مؤمنين أو كافرين فمن المؤمنين وهو أكثرهم عدداً ، (مريم ابنة عمران) إذ جاء نداؤها (خمس مرات) ثم ذا القرنين (مرتان) ، ومالك باعتباره ملك (مرة واحدة).

ومن الكافرين وهو أكثرهم عدداً : إبليس عليه لعنة الله (مرتان) وفرعون عليه لعنة الله (مرتان) وهامان : (مرتان) ثم بعد ذلك السامري (مرة واحدة) .

ويدخل تحت هذه المجموعة أيضاً مناداة الأفراد بصفتهم ،نحو قوله تعالى : (يا ابن أمّ)([1]) وقد وردت مرتان مقدرة الياء في إحداهما . و(يا أبت..)([2]) (ثمانية مرات) ، (يا أبانا ..)([3]) (خمس مرات)، و(يا أخت هارون..)([4]) (مرة واحدة) ، و (يا أيتها النفس المطمئنة ..)([5]) (مرة واحدة) ، و(يا أيها العزيز..)([6]) (مرتان)، و(يا أيها الذي ..)([7]) (مرة واحدة) ، و (يا أيها الساحر ..)([8]) (مرة واحدة) ، و (يا أيها المزمل..)([9]) (مرة واحدة) ، و(يا أيها المدثر..)([10]) (مرة واحدة) ، و(يا أيها الإنسان ..)([11]) (مرتان) ، ويمكن أن ندخل تحت هذه المجموعة قوله تعالى : (يا بشرى ..)([12]) وقد وردت (مرة واحدة) .

كما يمكن أن يدخل تحت هذه المجموعة مناداة الرسول صلى الله عليه وسلم بصفته نحو قوله تعالى : يا أيها النبي ..) وقد وردت (ثلاثة عشر مرة) و(يا أيها

([1]) الأعراف : ١٥٠ ، وطه : ٩٤

([2]) يوسف: ٤ ، ١٠٠ ، ومريم : ٤٢،٤٣ ، ٤٤، ٤٥ ، والقصص : ٢٦ ، والصافات : ١٠٢

([3]) يوسف : ١١ ، ١٧ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٨١

([4]) مريم : ٢٨

([5]) الفجر : ٢٧

([6]) يوسف : ٨٠ ، ٨٨

([7]) الحجر : ٦

([8]) الزخرف : ٤٩

([9]) المزمل : ١

([10]) المدثر : ١

([11]) الإنفطار : ٦ ، والإنشقاق : ٦

([12]) يوسف : ١٩

الرسول..)([1]) وردت (مرتان).

ويدخل تحتها أيضاً مناداة العباد لله سبحانه وتعالى ، بصفة الربوبية ، نحو قوله : (ربنا .. أو ربِّ..) وقد جاءت هذه الصيغة في (ثلاث وثلاثين ومائة موضع) من القرآن الكريم ، مذكورة الياء في موضعين فقط منها ، وأما بقية المواضع فمقدرة الياء فيها .

ويدخل تحتها أيضاً مناداة الأب لابنه بصفة البنوة نحو قوله تعالى : (يا بنيَّ..)([2]) وقد وردت في ستة مواضع .

٢/ المجموعة الثانية : وهي نداء مثنى وهو نادرٌ مثل قوله تعالى : (يا صاحبيّ السجن ..)([3]) . وقد وردت (مرتان) فقط .

٣/ المجموعة الثالثة : نداء جماعات مخصوصة ، نحو قوله تعالى : (يا أيها الرسل..)([4])، وقد وردت (مرة واحدة) ، ومنها: (يا أيها الذين آمنوا..) وقد جاء في (تسع وثمانين موضعاً) ومضاف إليها (أيها المؤمنون..) ([5]) في موضع واحد.

ومنها : (يا قوم ..) وقد جاءت في : (تسع وأربعين موضعاً) .

ومنها كذلك : (يا عبادي ..)([6]) وقد جاءت في (خمسة مواضع) وأيضاً منها : (يا أيها الملأ..)([7]) ، وقد وردت كذلك في (خمسة مواضع) كما أن منها : (يا أيها الذين هادوا..) ([8]) وقد جاءت (مرة واحدة فقط) .

وتدخل تحت هذه المجموعة مجموعات مثل : (يا نساء النبي ..) ([9]) وجاءت

([1]) المائدة : ٤١، ٦٧

([2]) هود : ٤٢ ، ويوسف : ٥ ، ولقمان : ١٣ ، ١٦ ، ١٧ ، والصافات : ١٠٢ .

([3]) يوسف : ٣٩ ، ٤١

([4]) المؤمنون : ٥١

([5]) النور : ٣١

([6]) العنكبوت : ٥٦ ، والزمر : ١٠ ، ١٦ ، ٥٣ ، والزخرف : ٦٨

([7]) يوسف : ٤٣ ، والنمل : ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٨ ، والقصص : ٣٨ .

([8]) الجمعة : ٦

([9]) الأحزاب : ٣٠ ، ٣٢

(مرتان) ، و(يا بنيَّ..)([1]) وجاءت (ثلاثة مرات) ، وتدخل تحتها أيضاً : (آل داود..)([2]) وقد جاءت في موضع واحد مقدرة الياء فيها .

٤/ والمجموعة الرابعة : وهي نداء جماعات عامة شاملة ، مثل : (يا أيها الناس..) ، وقد جاءت في (عشرين موضعاً) ، مضافة إليها : (أيها الناس..)([3]) في موضع واحد ، ومنها (يا بني آدم..)([4]) وقد جاءت في (خمسة مواضع) . وتدخل تحت هذه المجموعة مجموعات ، مثل : (يا بني إسرائيل ..)([5]) ، وقد وردت (ست مرات) ، كما تدخل تحتها : (يا أولي الألباب..)([6]) ، وقد جاءت في (ثلاثة مواضع) وكذلك تدخل تحتها : (يا أيها الذين أوتوا الكتاب..)([7]) ، وهي في موضع واحد . ومنها كذلك : (يا أيها الذين كفروا..)([8]) ، في موضع واحد ، و(يا أيها الكافرون..)([9]) ، في موضع كذلك ..

كما تدخل تحت هذه المجموعة : (يا أهل الكتاب ..) وقد وردت في (اثنى عشر موضعاً) . وأيضاً منها : (يا معشر الجن..)([10]) ، في موضع واحد ، و(يا معشر الجن والإنس..)([11]) في موضعين .

وأيضاً تدخل تحت هذه المجموعة : (يا أهل يثرب..)([12]) وقد جاء مرة واحدة ، كما أن منها : (يا أولي الأبصار..)([13]) ، وهي في موضع واحد .

([1]) البقرة : ١٣٢ ، ويوسف : ٦٧ ، ١٨٧

([2]) سبأ : ١٣

([3]) النساء : ١٣٣

([4]) الأعراف : ٢٦، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٥ ، ويس : ٦٠

([5]) البقرة : ٤٠،٤٧،١٢٢ ، والمائدة : ٧٢ ، وطه : ٨٠ ، والصف : ٦

([6]) البقرة : ١٧٩ ، ١٩٧ ، والمائدة : ١٠٠

([7]) النساء : ٤٧

([8]) التحريم : ٧

([9]) الكافرون : ١

([10]) الأنعام : ١٢٨

([11]) الأنعام : ١٣٠ ، والرحمن : ٣٣

([12]) الأحزاب : ١٣

([13]) الحشر : ٢

ولكل مجموعة من هذه المجموعات الأربعة غرض خاص يناسب نداءها في دقة وإحكام ، فمثلاً : (يا أيها الناس ..) يأتي عقب ندائها أمر عام يشمل جميع أفراد المنادى([1]) .

وكذا كل المجموعات التي تندرج تحت هذه المجموعة .

أما نداء الذين آمنوا ، فلا يأتي بعده إلا أمر خاص بالإيمان وتابع له([2])

وغير هذه المجموعات الأربعة المصنفة في نداءات القرآن الكريم ، هناك نداءات وردت في القرآن الكريم ، لا تندرج تحت هذه المجموعات ، وهذه النداءات يمكن تصنيفها كما يلي :

١/ النداءات الواردة في فصل التمنى ، وهو النداء الوارد بصيغة (ليت) وجميع هذه الصيغ سبقت بياء النداء ، ومعظمها صادرة من كافرين ، وصيغ (ليت) في القرآن الكريم عددها جاء في(ثلاثة عشر موضعاً) .

٢/ النداءات الصادرة من الكافرين ، فمثلاً (يا ويلنا ..)([3]) ، وردت (ست مرات) و (يا ويلتنا..)([4]) في موضع واحد ، و(يا ويلتي..)([5]) وقد جاءت في (ثلاثة مواضع) منها واحد صادر من كافر ، واثنان جاء أحدهما على لسان ابن آدم الذي قتل أخاه ، والآخر صدر عن زوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام .

٣/ نداءات الكافرين لأنفسهم ، نحو : (يا حسرتا ..)([6]) في موضع ، و(يا حسرتنا..)([7]) ، في موضع ، و(يا حسرة..)([8]) ، وهو نداء صادر من الله عز وجل ، وهو في موضع واحد فقط .

([1]) الموسوعة القرآنية المتخصصة ص٤٥٢

([2]) المرجع نفسه ، ص٤٥٣

([3]) الأنبياء : ١٤ ، ٤٦ ، ٩٧ ، ويس : ٥٢ ، والصافات : ٢٠ ، والقلم : ٣١

([4]) الكهف : ٤٩

([5]) المائدة : ٣١ ، وهو : ٧٢ ، والفرقان : ٢٨

([6]) الزمر : ٥٦

([7]) الأنعام : ٣١

([8]) يس : ٣٠

٤/ نداء صادر من نبي كريم يبدي فيه حزنه على فقد ولده ، وهو نداء سيدنا يعقوب عليه السلام ، في قوله تعالى : (وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُف..)([١]) وهذا في موضع واحد فقط . هذا الذي سبق كله في النداءات الصادرة من العقلاء .

أما نداءات غير العقلاء في القرآن الكريم فمعظمها صادرة من الله عزّ وجلّ لبيان حكمته وعظيم قدرته ، فمثلاً : (يا جبال..)([٢]) وردت مرة واحدة ، و(يا سماء ويا أرض..)([٣]) كل واحدة منها وردت مرة واحدة . كما أن نداء غير العاقل لجنسه ورد مرة واحدة ، وهو في قوله تعالى : (قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ..)([٤]) .

كذلك منها قوله تعالى : (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ..)([٥]) ، وهو نداء صادر من الله عز وجل يبين عظيم قدرته ، وأنه بيده ملكوت السماوات والأرض ، فهو وحده الذي يملك خواص الأشياء .

والله سبحانه وتعالى وحده هو العالم بمراده ، وهو القاهر فوق عباده، وهو السميع البصير .

وعلى العموم فنداءات القرآن الكريم ، وبخاصة ما كان صادراً عن الله عز وجل خرجت إلى معنى مجازي ، غير طلب الإقبال المادي الحسي ، وهذا هو مكمن البلاغة في نداءات القرآن الكريم([٦]) .

ومن المعاني التي خرج إليها النداء في القرآن الكريم ما جاء في قوله تعالى : (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى)([٧]) فيها إيقاظ وتنبيه له عليه الصلاة والسلام على ما سيبدو له من التعاجيب . وتكرير النداء لزيادة التأنيس والتنبيه([٨]) .

([١]) يوسف : ٨٤

([٢])ء سبأ : ١٠

([٣]) هود : ٤٤

([٤]) النمل : ١٨

([٥]) الأنبياء : ٦٩

([٦]) الموسوعة القرآنية المتخصصة ص٤٥٣

([٧]) طه : ١٧

([٨]) تفسير أبي السعود ج٦ ص١٠

ومنها قوله تعالى : (قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى)([1]) ، وتكرير النداء لمزيد التنبيه والاهتمام بشأن العصا([2]) .

وقوله تعالى : (قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى)([3]) ، وزيادة قوله (يا موسى) لتشريفه بالخطاب مع رعاية الفواصل([4]) .

ومنها ما جاء في قوله تعالى : (يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ)([5]) خطاب لطائفة خاصة من الكفرة المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأقبل عليهم بالنداء ليحركهم لسماع ما يرد من الأوامر والنواهي([6]) .

وقوله تعالى : (يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)([7]) كرر النداء للتأكيد ، وتذكير التفضيل الذي هو أجلّ النعم خصوصاً وربطه بالوعيد الشديد تخويفاً لمن غفل عنها وأخلّ بحقوقها([8]) .

كذلك قوله تعالى : (يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ)([9]) . لما صدر قصتهم بالأمر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر من إضاعتها ، والخوف من الساعة وأهوالها ،كرر ذلك وختم به الكلام معهم ، مبالغة في النصح وإيذاناً بأنه فذلكة القضية والمقصود من القصة([10]) .

([1]) طه : ١٩

([2]) روح المعاني ج١٦ ص١٧٧

([3]) طه : ٣٦

([4]) فتح القدير ج٣ ص٣٦٤

([5]) البقرة : ٤٠

([6]) روح المعاني ج١ ص٢٤١

([7]) البقرة : ٤٧

([8]) البيضاوي ج١ ص٣١٨

([9]) البقرة : ١٢٢-١٢٣

([10]) البيضاوي ج١ ص٣٩٤

ووجه التكرار في هذه الآية ، الحث على اتباع الرسول النبي الأمي صلوات الله وسلامه عليه([1]) .

وأيضاً قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرائيلَ..)([2]) ، ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم إلى تصديقه في قوله : (إني رسول الله إليكم..)([3]) .

كذلك من هذه المعاني ما جاء في قوله تعالى : (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ)([4]) .

خطاب للناس كافة ، وقد كرر النداء في الآية التي بعدها وهي قوله تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ..)([5]) للإيذان بكمال الاعتناء بمضمون ما صدر به([6]).

ثم كرر النداء في الآية (٣٥) وهي قوله تعالى : (يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ..) ([7]) ، وهو تلوين للخطاب وتوجيه له إلى كافة الناس اهتماماً بشأن ما في حيزه ، وهو قوله تعالى : (فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)([8]) .

وقوله تعالى : (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ)([9]) من جملة ما يقال لهم تقريعاً وإلزاماً للحجة([10]) .

([1]) فتح القدير ج١ ص١٣٦

([2]) الصف : ٦

([3]) أبي السعود ج٨ ص٢٤٤

([4]) الأعراف : ٢٦

([5]) الأعراف : ٢٧

([6]) المرجع نفسه ج٣ ص٢٢٢

([7]) الأعراف : ٣٥

([8]) المرجع نفسه ج٣ ص٢٢٥

([9]) يس : ٦٠

([10]) تفسير البيضاوي ج٤ ص٤٣٨

ومنها ما جاء في قوله تعالى : (قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ)([1]) ، ناداه بالتصغير للشفقة ، ويسمى النحاة مثل هذا التصغير ، تصغير التحبيب([2]) .

وفي سورة لقمان قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)([3]) ، وناداه بالتصغير إشفاقاً عليه([4]) .

ومنها ما جاء في قوله تعالى : (إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً)([5]) ، ناداه بـ (يا أبت) للاستعطاف ، ولذلك كررها([6]).

ومنها قوله تعالى : (قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ)([7]) . وخاطبوه بلفظ الأبوة استعطافاً له ، وتحريكاً للحنو الذي جبلت عليه طبائع الآباء للأبناء ، وتوسلاً بذلك إلى تمام ما يريدونه من الكيد الذي دبروه([8]) .

كذلك منها ما جاء في قوله تعالى : (يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً)([9])،(يا أخت هارون) استئناف لتجديد التعبير وتأكيد التوبيخ([10]) .

وأيضاً منها قوله تعالى : (وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ)([11]) (يا ويلنا) وأرادوا من نداء الويل ، التحسر ، وكأنهم قالوا : يا ويلنا تعال فهذا أوان حضورك([1]) حضورك([1]) .

([1]) يوسف : ٥

([2]) روح المعاني ج١٢ ص١٨٠

([3]) لقمان : ١٣

([4]) البيضاوي ج٤ ص٣٤٧

([5]) مريم : ٤٢

([6]) المرجع نفسه ج٤ ص١٨

([7]) يوسف : ١١

([8]) فتح القدير ج٣ ص٩

([9]) مريم : ٢٨

([10]) تفسير أبي السعود ج٥ ص٢٦٣

([11]) الأنبياء : ٩٧

ومن هذه المعاني أيضاً ما جاء في قوله تعالى : (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ)([٢]) ، خطاب تشريف لبعض المؤمنين الذين لا يتمكنون من إقامة أمور الدين كما ينبغي لممانعة من جهة الكفرة ، وإرشاداً لهم إلى الطريق الأسلم([٣]) .

وقوله تعالى : (قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)([٤]) ، فيه تشريف لهم بإضافتهم إلى ضمير الجلالة ، ومزيد اعتناء بشأن المأمور به ، فإن نقل عين أمر الله أدخل في إيجاب الامتثال به([٥]) .

كذلك قوله تعالى : (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)([٦]) أضاف العباد إلى نفسه لقصد تشريفهم ، ومزيد تبشيرهم([٧])

وأيضاً قوله تعالى : (يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ)([٨]) ، حكاية لما ينادي به المتقون المتحابون في الله يومئذ ، تشريفاً لهم وتطييباً لقلوبهم([٩]) .

ومن المعاني كذلك ما جاء في قوله تعالى : (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً)([١٠]) ، تلوين للخطاب ، وتوجيه له إليهن لإظهار الاعتناء بنصحهن ، ونداؤهن ههنا ، وفيما

([١]) روح المعاني ج١٧ ص٩٣

([٢]) العنكبوت : ٥٦

([٣])تفسير أبي السعود ج٧ ص٤٥

([٤]) الزمر : ١٠

([٥]) المرجع نفسه ج١ ص٢٤٦

([٦]) الزمر : ٥٣

([٧]) فتح القدير ج٤ ص٤٧٠

([٨]) الزخرف : ٦٨

([٩]) تفسير أبي السعود ج٨ ص٥٤

([١٠]) الأحزاب : ٣٠

بعده بالإضافة إليه صلى الله عليه وسلم لأنها التي يدور عليها ما يرد عليهن من الأحكام([1]) .

وأيضاً من هذه المعاني ما جاء في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)([2]) ، وتصدير الجملة بحر في النداء والتنبيه ، للتنبيه على مزيد الاعتناء بمضمونها ، وإيراده صلى الله عليه وسلم بعنوان النبوة للإشعار بعليتها للحكم ([3]) .

وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً)([4]) .

ناداه بالنبي وأمره بالتقوى ، تعظيماً له وتفخيماً لشأن التقوى والمراد به الأمر بالثبات عليه ليكون مانعاً له عما نهى عنه ، بقوله : (ولا تطع الكافرين والمنافقين..) فيما يعود في الدين([5]) .

كذلك قوله تعالى : (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء..)([6]) ، تخصيص النداء به عليه الصلاة والسلام ، مع عموم الخطاب لأمته ، أيضاً لتشريفه عليه الصلاة والسلام ، وإظهار جلالة منصبه([7]) .

ومن هذه المعاني كذلك ما جاء في قوله تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ)([8]) ، فيه من الفخامة والدلالة على عظم شأنه ، وكبرياء سلطانه ، سبحانه وتعالى حيث جعل الجبال والطيور

كالعقلاء المناقدين لأمره في نفاذ مشيئته فيها([1]).

([1]) المرجع نفسه ج٧ ص١٠١

([2]) الأنفال : ٦٤

([3]) المرجع نفسه ج٤ ص٣٣

([4]) الأحزاب : ١

([5]) البيضاوي ج٤ ص٣٦٢

([6]) الطلاق : ١

([7]) تفسير أبي السعود ج٨ص٢٦٠

([8]) سبأ : ١٠

وقوله تعالى : (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)(٢) ، نوديا بما ينادي به أولو العلم ، وأمرا بما يؤمرون به ، تمثيلاً لكمال قدرته ، وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالأمر المطاع ، الذي يأمر المنقاد لحكمه ، المبادر إلى امتثال آمره ، مهابة من عظمته وخشية عقابه الأليم(٣) .

وقوله تعالى : (حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ)(٤) ، شبه ذلك بمخاطبة العقلاء ، ومناصحتهم ، ولذلك أجروا مجراهم مع أنه لا يمتنع أن خلق الله سبحانه وتعالى فيها العقل والنطق(٥) .

ومن هذه المعاني أيضاً ما جاء في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)(٦) ، نداء وخطاب لجميع الأنبياء.. تنبيها على أن تهيئة أسباب النعم لم تكن له خاصة ، وأن إباحة الطيبات للأنبياء شرع قديم .. وقيل النداء له صلى الله عليه وسلم ولفظ الجمع للتعظيم(٧) .

كما أنها جاءت في قوله تعالى : (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)(٨) ، وتصدير الكلام بالنداء للتنبيه على الاهتمام بتلقي المأمور به ، وتخصيص أصل الخطاب به عليه السلام للإيذان بأصالته في مباشرة المأمور به(٩) .

---

(١) البيضاوي ج٤ ص٣٩٣

(٢) هود : ٤٤

(٣) المرجع نفسه ج٨ ص٢٣٦

(٤) النمل : ١٨

(٥) المرجع نفسه ج٤ ص٢٦٢

(٦) المؤمنون : ٥١

(٧) تفسير البيضاوي ج٤ ص١٥٨

(٨) البقرة : ٣٥

(٩) تفسير أبي السعود ج١ ص٩٠

ومنها قوله تعالى : (يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً)([1]) ، جواب لندائه ، ووعد بإجابة دعائه ، وإنما توالى تسميته تشريفاً له([2]) .

كذلك منها قوله تعالى : (يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ)([3]) ، (يوسف) حذف منه حرف النداء لأنه منادى قريب مفاطن للحديث ، وفيه تقريب له ،و تلطيف لمحله([4]) .

ومنها ما جاء في قوله تعالى : (قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ)([5]) .

وتوسيط النداء باسمه العلمي بين المعطوفين ، لزيادة التقرير والتهديد ، الناشئة عن غاية الوقاحة والطغيان([6]) .

وأيضاً من هذه المعاني ما نجده في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)([7]) . لما عدد فرق المكلفين ، وذكر خواصهم ، ومصارف أمورهم ، أقبل عليهم بالخطاب ، على سبيل الإلتفات ، هزاً للسامع ، وتنشيطاً له واهتماماً بأمر العبادة ، وتفخيماً لشأنها ، وكثر النداء في القرآن الكريم بـ (يا أيها) لاستقلاله بأوجه من التأكيد([8]) .

ومن هذه المعاني ما جاء في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ)([9]) ، خطاب للمؤمنين فيه

([1]) مريم : ٧

([2]) البيضاوي ج٤ ص٦

([3]) يوسف : ٢٩

([4]) الكشاف ج٢ ص٤٣٥

([5]) الأعراف : ٨٨

([6]) تفسير أبي السعود ج٣ ص٢٤٨

([7]) البقرة : ٢١

([8]) تفسير البيضاوي ج١ ص٢١٥ -٢١٦

([9]) البقرة : ١٠٤

إرشاد لهم إلى الخير ، وإشارة إلى بعض آخر من جنايات اليهود([1]) .

وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)([2]) .

وصفهم بالإيمان إثر تعداد ما يوجبه ويقتضيه تنشيطاً لهم ، وحثاً على مراعاة ما يعقبه من الأمر([3]) .

ومنها ما جاء في قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ)([4]) ، أضافهم إليه ناصحاً لهم ومستميلاً لهم([5]) .

وقوله تعالى : (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ)([6]) ، كرر النداء بالإضافة التشريفية اهتماماً بشأن الأمر ، ومبالغة في حثهم على الامتثال به([7]) .

وكذلك قوله تعالى : (قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)([8]) ناداهم بإضافتهم إليه ، استمالة لقلوبهم نحو الحق([9]) .

وأيضاً قوله تعالى : (قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)([10]) مستعطفاً لهم ، ومستميلاً لقلوبهم مع ما سمع منهم ما سمع من الكلمة الشنعاء الموجبة لتغليظ القول ، والمشافهة بالسوء([11]) .

([1]) تفسير أبي السعود ج١ ص١٤١

([2]) البقرة : ١٥٣

([3]) المرجع نفسه والجزء ص١٧٩

([4]) المائدة : ٢٠

([5]) تفسير أبي السعود ج٣ ص٢٢

([6]) المائدة : ٢١

([7]) المرجع نفسه والجزء ص٢٣

([8]) الأعراف : ٦١

([9]) المرجع نفسه والجزء ص٢٣٥

([10]) الأعراف : ٦٧

([11]) المرجع نفسه والجزء ص٢٣٨

كما نجد من هذه المعاني في قوله تعالى : (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)(١) ، ناداهما بعنوان الصحبة في مدار الأشجان ، ودار الأحزان التي تصفو فيها المودة وتخلص النصيحة ، ليقبلا عليه ويقبلا مقالته(٢) .

وأيضاً نجد من هذه المعاني في قوله تعالى : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ)(٣) ، وإنما خوطبوا بعنوان أهلية الكتاب الموجبة للإيمان به ، وبما يصدقه من القرآن العظيم ، مبالغة في تقبيح حالهم في كفرهم بها(٤) .

وقوله تعالى : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)(٥) ، والتكرير للمبالغة في حمله عليه السلام على تقريعهم ، وتوبيخهم .. وتكرير الخطاب بأهلية الكتاب لتأكيد الاستقلال وتشديد التشنيع ، فإن ذلك العنوان كما يستدعي الإيمان بما هو مصدق لما معهم يستدعي ترغيب الناس فيه(٦) .

كذلك قوله تعالى : (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم..)(٧) ، تجريد للخطاب ، وتخصيص له بالنصارى ، زجراً لهم عما هم عليه من الكفر والضلال(٨) .

وأيضاً قوله تعالى : (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا..)(٩) والتعبير عنهم بأهلية الكتاب للتشنيع فإن أهلية الكتاب من موجبات مراعاته ، والعمل بمقتضاه ،

---

(١) يوسف : ٣٩

(٢) المرجع نفسه ج٤ ص٢٧٨

(٣) آل عمران : ٩٨

(٤) المرجع نفسه ج٢ ص٦٣

(٥) آل عمران : ٩٩

(٦) المرجع نفسه الجزء والصفحة

(٧) النساء : ١٧١

(٨) المرجع نفسه ج٢ ص٢٥٩

(٩) المائدة : ١٥

وبيان ما فيه من الأحكام([1]) .

كذلك من هذه المعاني ما جاء في قوله تعالى : (قَالَ يَا إِبلِيسُ مَا لَكَ أَلا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ)([2]) ، بيَّن تعالى في هذه الآية أنه سأل إبليس سؤال توبيخ وتقريع([3]).

وقد ناداه الله سبحانه وتعالى باسمه ليس على سبيل الإعظام ، والإجلال ، ولكن على سبيل الإهانة والإذلال([4]) .

ومنها قوله تعالى : (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْأِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ)([5]) ، هما الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير([6]) .

كما منها قوله تعالى : (قل يا أيها الكافرون)([7]) ، نداء للمشركين بمكة ، وجاء النداء بـ (يا) وهي لنداء البعيد ، لبعدهم في الكفر والعناد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم([8]) .

وأيضاً نجد من هذه المعاني في قوله تعالى : (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)([9]) ، أي ذوي العقول الخالصة عن شوب الأوهام ، خوطبوا بذلك تنشيطاً لهم إلى التأمل في حكمة القصاص([10]) .

كما نجد منها في قوله تعالى : (قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرائيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي)([11]) . خص الأم

([1]) روح المعاني ج٦ ص٩٧

([2]) الحجر : ٣٢

([3]) أضواء البيان ج٢ ص٢٧٥

([4]) انظر تفسير روح المعاني ج١٤ ص٤٧

([5]) الرحمن : ٣٣

([6]) تفسير أبي السعود ج٨ ص١٨١

([7]) الكافرون : ١

([8]) أضواء البيان ج٩ ص١٣٢

([9]) البقرة : ١٧٩

([10]) تفسير أبي السعود ج١ ص١٩٦

([11]) طه : ٩٤

استعطافاً وترقيقاً([1]) .

كذلك من هذه المعاني في قوله تعالى : (فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى ..)([2]) ، (يا ويلتي) كلمة تحسر وتحزن ، كأنه دعا ويلته بأن تحضر في ذلك الوقت ، والكلام خارج مخرج التعجب منه من عدم اهتدائه لمواراة أخيه كما اهتدى الغراب لذلك([3]) .

وقوله تعالى : (قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ)([4]) .

(قالت يا ويلتا) نداء ندبة وهي كلمة يقولها الإنسان عند رؤية ما يتعجب منه ، أي : يا عجباً ، والأصل يا ويلتاه([5]) .

كذلك قوله تعالى : (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا..)([6]) (يا ويلتاه) يا هلاكنا ومعنى النداء تنبيه المخاطبين([7]) .

وأيضاً نجد من هذه المعاني في قوله تعالى : (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا)([8]) ، (قالوا يا حسرتنا) أوقعوا النداء على الحسرة ، وليست بمنادى في الحقيقة ، ليدل ذلك على كثرة تحسرهم([9]) .

وقوله تعالى : (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)([10]) .

([1]) البيضاوي ج٤ ص٦٧

([2]) المائدة : ٣١

([3]) فتح القدير ج٢ ص٣٢

([4]) هود : ٧٢

([5]) تفسير البغوي ج٢ ص٣٩٣

([6]) الكهف : ٤٩

([7]) المرجع نفسه ج٣ ص١٦٦

([8]) الأنعام : ٣١

([9]) فتح القدير ج٢ ص١١١

([10]) يس : ٣٠

الحسرة شدة الندامة ، وفيه قولان: أحدهما ، يقول الله تعالى:(يا حسرة) أي: ندامة وكآبة على العباد يوم القيامة ، حيث لم يؤمنوا بالرسل ، والآخر ، من قول الهالكين..وقيل:الحسرة لا تدعى،ودعاؤها تنبيه للمخاطبين على طريق المبالغة([1]) .

كما أن من هذه المعاني في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا..)([2]).المقصود تأكيد إيجاب الامتثال بالأمر الذي يعقبه ، والتحذير عن مخالفته([3]) .

ومنها قوله تعالى : (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ)([4]) خاطبوه بذلك تعظيماً له على حد خطابهم السابق على ما هو ظاهر([5]) .

كما أن منها قوله تعالى : (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ)([6]) .

نادوا به النبي صلى الله عليه وسلم على التهكم ، ألا ترى إلى ما نادوه له وهو قولهم : (إنك لمجنون)([7]) .

أيضاً منها قوله تعالى : (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ)([8]) ، (يا أيها الساحر) يا أيها العالم الكامل الحاذق ، وإنما قالوا هذا توقيراً وتعظيماً له ، لأن السحر عندهم كان علماً عظيماً ، وصفة ممدوحة([9]) .

وقيل:هو خطاب استهزاء وانتقاص،دعاهم إليه شدة شكيمتهم ومزيد حماقتهم([10])

([1]) تفسير البغوي ج٤ ص١١

([2]) النساء : ٤٧

([3]) تفسير أبي السعود ج٢ ص١٨٥

([4]) يوسف : ٨٨

([5]) روح المعاني ج١٣ ص٤٥

([6]) الحجر : ٦

([7]) البيضاوي ج٣ ص٣٦٢

([8]) الزخرف : ٤٩

([9]) تفسير البغوي ج٤ ص١٤١

([10]) روح المعاني ج٢٥ ص٨٨

كذلك منها قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)([1]) ، أي : يقال لهم هذا القول عند إدخالهم النار ، تأييساً لهم وقطعاً لأطماعهم([2]) .

ومن هذه المعاني أيضاً ما جاء في قوله تعالى : (يا أيها المزمل)([3]) ، قيل: خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم تهجيناً لما كان عليه من الحالة ، حيث كان صلى الله عليه وسلم متلففاً بقطيفة مستعداً للنوم ، كما يفعله من لا يهمه أمرٌ، ولا يعنيه شأن ، فأمر بأن يترك التزمل إلى التشمر للعبادة .. وقيل ناداه جبريل وهو صلى الله عليه وسلم على تلك الحالة من التزمل ، بـ (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ) للملاطفة ، والتأنيس([4]) .

وهذا المعنى الأخير في هذه الآية تميل إليه نفسي ، لما يشعر به الإنسان من سوء التأدب معه صلى الله عليه وسلم في المعنى الأول ، وإن كان قد جاء في كثير من التفاسير ، والله أعلم بمراده ، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

([1]) التحريم : ٧

([2]) فتح القدير ج٥ ص٢٥٤

([3]) المزمل : ١

([4]) تفسير أبي السعود ج٩ ص٤٩